

سيأتينا، وقد درس الباحث أبرز النصوص النثرية، وتحدث عن الوجوه البارزة في النثر إلا أن جل الأعلام الذين وقف عندهم هم من أعلام عصر الطوائف وأعلام الذخيرة لابن بسام، كابن شهيد (ت ٤٢٦هـ) وعمر بن الشهيد (٤٤٠هـ) وابني برد الأصغر (توفي بعد ٤٤٠هـ) والأكبر (٤١٨هـ) وابني حزم الأندلسي أبو المغيرة عبد الوهاب بن أحمد (ت ٤٣٨هـ)، وأبو محمد علي بن أحمد بن حزم (٤٥٦هـ)، وسنقف فيما يلي على أحد أبرز الكتب في هذا العصر، كتاب العقد الفريد.

### العقد الفريد:

من المصادر المهمة في المكتبة العربية انتهى ابن عبد ربه من تأليفه سنة ٣٢٢هـ ويبدو ذلك في أرجوزته التي تحدثت فيها عن تاريخ الأندلس ثم توقف عند عام ٣٢٢هـ<sup>١</sup> فهو يمثل الكاتب في نضجه الثقافي قبيل وفاته بستة أعوام.

وقد اختلف في تسمية الكتاب فرأى عدد من الباحثين المحدثين أن اسمه العقد ورأى آخرون أنه العقد في الأخبار، وأما لفظة (الفريد) فقد أضيفت إليه فيما بعد، ودليلهم في ذلك أن المصادر القديمة التي عرفت بالكتاب، لم تذكر لفظة الفريد، وأن أول من ذكرها الأبشيهي (ت ٨٥٠هـ) في مقدمة كتابه المستطرف من كل فن مستطرف<sup>٢</sup>. ولكن المؤلف يزيل هذا الإبهام، ويحقق لنا اسم الكتاب في مقدمته حيث يقول: "وسميته كتاب. العقد الفريد. لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة السلك، وحسن النظام"<sup>٣</sup>.

وأما ذكر القدماء لاسمه مجرداً من كلمة (الفريد) فهو في الغالب على سبيل الإيجاز والاختصار، كما هو مألوف لدينا في ذكر المصادر فنقول: (القلاند، والجدوة، والبغية، والنفح) ونريد بها قلاند العقيان، وجدوة المقتبس، وبغية الملتبس، ونفح الطيب.

ومن عنوان الكتاب نعلم أن المؤلف تصور كتابه في صورة عقد، حباته فريدة وثمينة، ولذلك جعل أبواب كتابه خمسة وعشرين باباً، كل باب باسم جوهرة واختار اثنتي عشرة جوهرة، لأبواب الكتاب، وقابلها باثنتي عشرة أخرى، ثم جعل الواسطة الخامسة والعشرين، فلكل حجارة كريمة في العقد مثلتها، في النصف الآخر، وقد جعل كل كتاب منها جزئين، فاجتمع منها خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً، وبدأها باللؤلؤة في السلطان، وختمها باللؤلؤة الثانية في الفكاهات والملح.

ومنهجه في مادة الكتاب أنه يختار، وينتقي الأخبار التي هي جديدة بالجمع، ثم ينسقها وفق الموضوعات المتشابهة في أبواب محددة، وقد نوع وغير في اختيار الموضوعات، ولم

١ العقد، ٣٧٧/٢.

٢ المستطرف، ٢٢/١. وينظر ابن عبد ربه وعقده، ٤٩.

٣ مقدمة العقد، ٤/١.

يحصرها في صنف واحد، وحذف الأسانيد والرواة من الأخبار التي يريدتها، على سبيل الإيجاز ودفع السأم عن القارئ.

وأما مصادره في الكتاب، فهي مصادر الثقافة العربية التي سبقته، ومنها: عيون الأخبار لابن قتيبة، والبيان والتبيين، والبخلاء، والحيوان للجاحظ، والكامل للمبرد، وطبقات الشعراء لابن سلام، والسيرة لابن هشام، وكليلة ودمنة لابن المقفع، ودواوين الشعراء الجاهليين والإسلاميين<sup>١</sup>.

ولأهمية الكتاب تناولته الأقلام بالدراسة والبحث، وفي مقدمة هذه الدراسات الرسالة الجامعية التي قدمها جبرائيل جبور بعنوان ابن عبد ربه وعقده، سنة ١٩٣٣، وجاء الحديث عنه في عدد من الدراسات التي تناولت الأدب الأندلسي، ومنها كتاب أحمد هيكل<sup>٢</sup>، وكتاب الطاهر أحمد مكي<sup>٣</sup>، ووقف محمد رضوان الداية بحثه على لجانب النقدي من الكتاب<sup>٤</sup>، أما حازم عبد الله خضر، فقد كتب بحثه ليدرس: العقد الفريد بين المشرق والأندلس<sup>٥</sup>.

ومن القضايا المهمة، دراسة أهمية الكتاب، وآراء النقاد القدماء والمحدثين فيه، فقد اقترن ذكر الكتاب بمقولة للصاحب بن عباد (ت ٣٨٥هـ) انفرد ياقوت الحموي بذكرها، فقال: "وبلغني أن الصحاح بن عباد سمع بكتاب العقد، فحرص عليه حتى حصل عنده، فلما تأمله، قال: "هذه بضاعتنا ردت إلينا ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا لا حاجة لنا فيه" فرده"<sup>٦</sup>. سيطرت فكرة تقليد الأندلسيين لأدب المشاركة على كتابات كثير من الباحثين، ومنهم عمر فروخ وأحمد ضيف<sup>٧</sup>.

كما لم يسلم ابن عبد ربه من أمثال الصحاح بن عباد، فقد نقده مواطنه، وعصرته محمد بن يحيى القلظاط (ت ٣٢٢هـ) وسقى كتابه باسم حبل الثوم تشويهاً وتحقيراً<sup>٨</sup>. ولعل ذلك بسبب المهاجاة التي كانت بينهما، وعاب عليه ابن ربيب القيرواني في رسالته، وقد رد عليها ابن حزم الأندلسي برسالته المعروفة في فضائل الأندلس، فمما قاله ابن ربيب: "على أنه يلحقه فيه بعض اللوم، لا سيما إذ يجعل فضائل بلده واسطة عقده، ومناقب ملوكه يتيمة سلكه، أكثر الحز وأخطأ المفصل، وأطال الهز

١ ابن عبد ربه وعقده، ٥٦ . ٧٠ . وينظر الأدب الأندلسي، ص ٢٦٢.

٢ الأدب الأندلسي، ٢٦٠ . ٢٦٦.

٣ دراسة في مصادر الأدب، ٢٢٠ . ٢٣٤.

٤ تاريخ النقد الأدبي في الأندلس، ٢٨٠ . ٢٨٣.

٥ مجلة آداب الرافدين، ص ٣٢٩ . ٣٦٤، العدد السابع، الموصل، ١٩٧٦.

٦ معجم الأدباء، ٢١٤/٤، ط المستشرق.

٧ تاريخ الأدب العربي، ٦/٤.

٨ المقتبس، ص ٤٢، ط باريس، ١٩٣٧، النسخ، ٢/٢٩٤. وينظر الشاعر الأندلسي ابن عبد ربه القرطبي، المورد،

٤٣/٢/٦

لسيف غير مقصّل، وقعد به ما قعد بأصحابه من ترك ما يعنهم، وإغفال ما بهمهم".<sup>١</sup>  
وأمثال هذه الأحكام التي أصدرها القدماء في كتاب العقد الفريد، تدل دلالة واضحة على أصداء تأليف الكتاب من ناحية، والمعركة الثقافية، والصراع الأدبي اللذين احتدما بين الأندلسيين والمشاركة، وانتهيا إلى صورة من صور المنافسة والمعارضة، بدوافع التفوق والتميز.

فأما حكم الصحاب بن عباد، فهو غير دقيق، لأنه تأمل الكتاب تأملاً سريعاً فأصيب بخيبة أمل فيه، إذ لم يجد بغيته وما كان يتطلع إليه في الكتاب، فقال قولته المتقدمة أنفاً وهي كما يرى مصطفى عليان "تمثل الموقف الأدبي للمشاركة من جهود الأندلسيين الأدبية، لأن العبارة تكشف عن عمق الرغبة في التعرف إلى أدب الأندلسيين الذي جاء العقد مبدداً لها، في عدم العناية بأدب الأندلس عناية كاملة".<sup>٢</sup>

والذي نراه أن الهدف الذي دعا المؤلف إلى تأليف كتابه هو:

١. تعريف أهل الأندلس بالمشرق، ونقل الأخبار والمعلومات من مصادرهم، لأن الأندلسيين مغرمون ومعجبون بكل ما هو مشرق.
٢. تعريف أهل المشرق بأهل الأندلس وعرض جانب لا يستهان به من أخبارهم.
٣. تقوية ثقة أهل الأندلس بأنفسهم وبأنهم قادرون على ما توصل إليه أهل المشرق، وفي هذا المجال يقول ابن عبد ربه في مقدمته للكتاب "وقرنت به غرائب من شعري، ليعلم الناظر في كتابنا هذا أن لمغربنا على قاصيته، وبلدنا على انقطاعه، حظ من المنظوم والمنثور".<sup>٣</sup>

إن الجانب الأندلسي واضح في الكتاب، وهو يتمثل بالمرتبة الأولى في اشعار المؤلف التي انتظمت أجزاء الكتاب وصفحاته، وهي تقارب ألف بيت، فضلاً عن أرجوزتيه الأولى: في غزوات عبد الرحمن الناصر التي بلغت ٤١١ بيتاً، والثانية: في العروض وهي تناهز مئتي بيت.

وزيادة على ما تقدم، الأشعار التي أوردها المؤلف لشعراء الأندلس من أمثال يحيى الغزال، وعباس بن فرناس، ومؤمن بن سعيد، وغيرهم.

كما يتمثل الجانب الأندلسي في النصوص النثرية التي تضمنها الكتاب بأسلوب المؤلف، إذ كان يستهل صدر كل كتاب بفرش أدبي، والمتأمل في هذه المقدمات يلاحظ أنها صيغت بعناية أدبية وموهبة فنية وبراعة بيانية.<sup>٤</sup>

ومن هنا وصف الكتاب بأنه "عظيم القيمة من النواحي التاريخية، والأدبية، والعلمية، وهو ذخيرة أدبية حافلة بالنصوص القيمة شعراً ونثراً... وهو موسوعة ثقافية

١ النفع، ٣/١٥٨.

٢ تيارات النقد الأدبي، ٨٢.

٣ العقد، ٤/١.

٤ مجلة آداب الرافدين، ٣٤٩/٧.

عربية عامة"<sup>١</sup> وأما من رأى أن مادة هذا الكتاب ليست مشرقية فحسب ولكنها عديمة الشخصية. إن صح التعبير. مجرد أخبار<sup>٢</sup>... فهو لا يعدو أن يكون صيغة مختلفة لرأي الصاحب بن عباد الذي قصد به تهوين نتاج غرب العالم الإسلامي.

---

١ الأدب الأندلسي، ٢٦٢.  
٢ الحب في التراث العربي، ٢٤٥.